مركز حمورابي

دور القيم في العلاقات الدولية

دورالقيم في العلاقات الدولية

م.م نور نبيه جميل
تخصص ادارة الصراعات وبناء السلم الدولي
باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

20 نيسان **2024**

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

المقدمة:

يواجه مفهوم ومصطلح القيم تعدد وتنوع في التعريف على مستوى العلوم الاجتماعية والانسانية كما انه يرتبط مع العلوم الاخرى والمفاهيم المقاربة ارتباطاً كبيراً الا انه في الاطار العام ، ينظر إلى القيم على أنها ضوابط معيارية تتضمن مُثُلاً وأهدافاً ضابطة للكيان الاجتماعي فكراً ونظماً وممارسة، ولها صفة الضرورة والحاجة الماسة للالتزام والعمومية. وبهذا المعنى فإن القيم هي ضوابط و أحكام معيارية معترف بها في الوسط الاجتماعي.

واستنادًا لذلك تقسم القيم الى انواع عدة منها القيم الدينية والسياسية والاجتماعية الخ...وهذا المعنى يفسر لنا اهمية موضوع القيم وصعوبة اختصاره في مقال صغير الا اننا نقدم رؤية توضيحية بسيطة تمكن الباحثين من تكوين رؤية او بداية للبحث اكثر عن هذا الموضوع ومما يجعلنا نطرح هذا الموضوع هو اهمية القيم في تحديد المصالح والسلوكيات وردود الافعال في العلاقات بين الدول.

وارتباط فكرة القيم في العلاقات الدولية مع تنازع وتضارب المصالح ضمن الأدبيات الغربية المعروفة وفي اتجاهين رئسيين هما :

الأول المدرسة الواقعية ،الثاني المدرسة الليبرالية ، تضمن الاول القيمة الاساسية للتعامل هو الردع والقوة من اجل المصالح القومية العليا اما الثاني استند الى توظيف القيم لنشر الديمقراطية وحقوق الانسان والدفاع عن حقوق الفرد والمساعدات الانسانية.

يذكر في بعض الادبيات ان القيم تحدد السياسة. ما مدى صحة هذه المقولة؟ تنتقل ديناميكيات السياسة العالمية في القرن الحادي والعشرين في كثير من الأحيان من توازن القوى التقليدي إلى التكييف المعياري والقيمي لتصرفات السياسة الخارجية. ولذلك، تبدأ المواقف الأخلاقية في لعب دور أكبر من أي وقت مضى، بل إنها تسود أحيانًا على القانون في الدبلوماسية العالمية ونضال السياسة الخارجية. إن عامل القيمة هذا له أهمية خاصة بالنسبة لتصور المجتمع للسياسة الخارجية في مختلف البلدان. ولذلك، فإن مشاكل النسبية الأخلاقية، وتعديل القيمة، والمشروطية المعيارية للسياسة الخارجية تأتي إلى الواجهة.

أصبحت القيم المختلفة والمواقف المعيارية المختلفة المرتبطة بها الآن تشكل عائقًا ملموسًا بشكل متزايد أمام الحوار بين مراكز القوى المختلفة في الساحة العالمية. إن فكرة كون القيم الغربية عالمية أصبحت مرفوضة على نحو متزايد، وكثيراً ما ينظر إليها في البلدان النامية باعتبارها استعماراً جديداً؛ ومن بين القوى الرجعية، أصبحت الحجة الرئيسية هي أن التوسع الغربي يحدث، والذي يُنظر إليه على أنه تدخل في شؤونها الداخلية. ونتيجة لذلك، في السياسة العالمية المعاصرة، يستخدم الفاعلون بشكل متزايد دلالات مختلفة. ويحدث هذا حتى عندما يتواصل الجميع باستخدام نفس اللغة الإنجليزية الاحترافية. ويكمن السبب في ذلك في اختلاف المواقف القيمية والتوقعات العامة من السياسة الخارجية في المجتمعات المختلفة. ولذلك، أصبح سوء الفهم الدلالي المتبادل الآن مشكلة رئيسة في العلاقات الدولية.

وفي هذا الصدد، ربما لن يكون من المبالغة القول إن نظام العلاقات الدولية برمته في القرن الحادي والعشرين يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمناقشة حول القيم. علاوة على ذلك، أصبحت استراتيجيات تعزيز القيم قضايا رئيسية، وهي سياسات تعتمد في المقام الأول، إن لم يكن حصرا، على القيم، وبشكل ثانوي فقط على المصالح. في معاهدة لشبونة، اقر الاتحاد الأوروبي بوضوح أنه يطبق سياسة قائمة على القيمة. وربما أصبح مفهوم "القوة المعيارية" هو المفهوم الرئيس في وصف الاستراتيجية الخارجية للاتحاد الأوروبي.

تثير سياسة الترويج العالمي للقيم والأسس المعيارية للسياسة، في سياق الصراعات الجيوسياسية الحديثة، ردود فعل رجعية من أولئك الذين يعارضون القوى الغربية، وفي المقام الأول الصين وروسيا. ومع اشتداد هذا الصراع، بدأت قيمتهم وتعديلاتهم المعيارية تكمل بشكل متزايد الاجندة التحريفية الجيوسياسية التقليدية لهذه البلدان. علاوة على ذلك، فإنها تصبح في حد ذاتها، إذا صح التعبير، الأساس المعياري لاحتجاجهم الجيوسياسي، وبالتالي تتلقى قاعدتها شبه الأيديولوجية.

وفي هذا الصدد، أصبحت مشكلة القيم العالمية قضية حادة للغاية في الأجندة التحريفية. فهل هي ممكنة أم أنها مجرد وهم؟ بالإضافة إلى ذلك، ونظراً للتشابك الوثيق بين القيم والمصالح، هناك دائماً إغراء القول بأن أي خطاب حول القيم هو مجرد ذريعة لتعزيز مصالح جيوسياسية واضحة تماماً. ومن ثم، تنشأ السلبية عندما لا يكتسب التفكير في القيم الخاصة بالفرد أهمية أساسية، في إدراك القيم، بل إنكار القيم الخارجية.

وعلى الرغم من كل مفارقاتها الخارجية، فإنها تعمل، بل وتوحد سياسياً، أكثر البلدان والقوى تنوعاً في العالم غير الغربي. وهكذا، تصبح السلبية القائمة على القيمة هي الأساس الموحد للنضال الجيوسياسي.

ليس أقل أهمية أن بساطة هذه القيمة السلبية تجعلها مفهومة تمامًا ومقبولة لأوسع جماهير المجتمع، ولـ "الأشخاص العميقين" سيئي السمعة، وللشخص العادي. وهذا يسمح باستخدامها بنشاط في السياسة الإعلامية، مع التركيز على التبسيط والغرابة في تغطيتها. ونتيجة لذلك، أصبحت قضايا القيمة تشكل أولوية لحرب المعلومات التي تصاحب الجغرافيا السياسية الآن.

الجانب الآخر من مراجعة القيمة هو تقليديتها وبدائيتها (وإذا صح التعبير، العتيقة)، والارتباط الوثيق بين القيم والنماذج الثقافية وأعماق التاريخ. وفي هذا الصدد، يتم تقديم التقدم المعياري للغرب باعتباره تهديدًا للهوية التقليدية. علاوة على ذلك، تُفهم الهوية من جوانب مختلفة: بالمعنى العرقي أو الديني أو المتمركز حول الدولة أو السلوكي أو الجنسي. إن دلالات التقليدية هذه تجعل من الممكن تفسير الضغط المعياري الخارجي باعتباره تهديدًا رئيسيًا للأسس ذاتها، ولوجود الشعب ذاته. ونتيجة لذلك، فإن التحدي السياسي الذي تواجهه النخب يتحول بسهولة شديدة إلى تهديد قيمي شامل للأمة بأكملها، وينتج عنه تركيز مماثل من وسائل الإعلام.

هذا الارتباط بين تحريفية القيمة والتقليدية يجعل من الضروري معالجة التاريخ في السياسة المعيارية. لقد أصبحت التفسيرات المختلفة للذاكرة التاريخية محور صراع حقيقي في السياسة الخارجية. هنا يمكنك أن ترى مثالًا واضحًا للغاية عن كيفية تشابك القيم والاهتمامات مع بعضها البعض. وهذا جزئيًا ما يجعل من الممكن استخدام القيم بنشاط في الصراع الجيوسياسي. أعتقد أنه يمكننا القول إن الذاكرة التاريخية هي بلا شك قيمة يمكن أن تثير استجابة عاطفية جادة في المجتمع. لكن سياسة تشكيل (وتعديل) الذاكرة التاريخية، التي تنتهجها العديد من الدول بنشاط، هي بناء اجتماعي، يتم تنفيذه على أساس المصالح فقط. وهكذا، يمكننا أن نستنتج أنه ليس هناك فقط حركة في اتجاه واحد بين القيم والمصالح. لا تحدد القيم فقط (كفئة أساسية) الاهتمامات (كفئة أكثر تطبيقًا). ولكن على العكس من ذلك، فإن المصالح تؤثر أيضًا على القيم، وتشكلها وتصلحها، وفي بعض الأحيان تغير تمامًا القيم التي كانت متأصلة في المجتمع من قبل. لذا فإن السؤال حول ما الذي يأتي أولاً ـ القيم أم المصالح ـ لا يحظى بإجابة لا لبس فيها.

غالبًا ما يرتبط استخدام الذاكرة التاريخية في صراع القيمة بمعارضة بطولة الماضي والمجتمع الحديث "ما بعد البطولي". ويمكن ملاحظة ذلك في السياق الأوسع لانتقاد المجتمع الاستهلاكي وافتقاره إلى الروحانية، حيث يصبح التاريخ (أو على الأقل الأساطير التاريخية المثالية) مثالًا أخلاقيًا مهمًا. فمن ناحية، نحن على دراية بفكرة أن "معلم المدرسة البروسية" هو المهندس الحقيقي للتماسك الوطني لألمانيا (ونزعتها العسكرية). ولكن، من ناحية أخرى، فإن مثل هذا النهج لا يمكن أن يؤدي فقط إلى "إعادة بطولة" المجتمع، بل يثير أيضًا تأملات حول كيفية الجمع بين هذا المثل الأعلى التاريخي والسلوك الحقيقي للنخب وامتثالهم لمثل هذا المثل الأعلى. وفي سياق عدم ثقة المجتمع في النخب (وهو أمر شائع جدًا في العديد من دول العالم الحديث)، فإن هذا الترويج الإعلامي والسياسي للمثل التاريخية لا يؤدي إلا في بعض الأحيان إلى زيادة السخط المدني.

القيمة الرئيسية التالية التي يدور حولها صراع تنظيمي وجيوسياسي حاد هي قيمة الديمقراطية. وضعت قمة الديمقراطية التي أطلقها جو بايدن في ديسمبر/كانون الأول 2021 هذه المشكلة في قلب السياسة العالمية الحقيقية. وبعدها ربما لن يكون من المبالغة الحديث عن التقسيم الرمزي للعالم إلى قسمين: اتحاد الديمقراطيات و"اتحاد الشموليين" المعارض له. وبالتالي، كان للقيم هنا تأثير كبير للغاية على الانقسام الجيوسياسي الحقيقي للعالم. ويتمثل الخلاف الرئيسي في ما إذا كان تصور الديمقراطية ينبغي أن يكون عالمياً، ومشتركاً بين جميع البلدان، ومستنداً إلى القيم الغربية، أم لا، ومن الممكن أن تكون هناك تفسيرات "غير غربية" مختلفة للديمقراطية، تحددها تفاصيل تاريخية ودينية وثقافية. والتطور الثقافي والسياسي لكل دولة.

لا شك أن الذاكرة التاريخية والديمقراطية ليستا بأي حال من الأحوال القيمتين الوحيدتين اللتين وجدتا نفسيهما في بؤرة النضال السياسي الحقيقي. وفي العالم الحديث، تشمل هذه القيم بلا شك القيم البيئية والأخلاق الخضراء، التي تكتسب أهمية حاسمة في سياق تحول الطاقة ومكافحة تغير المناخ. كان لجائحة كوفيد تأثير كبير على تطور أجندة القيمة. فمن ناحية، نرى في العديد من البلدان الترويج لنوع جديد من "قيمة عدم الحرية"، المفترض أنها ضرورة لسلامة الناس في مجتمع محفوف بالمخاطر. ومن ناحية أخرى، فإن هذا يثير أيضًا احتجاجًا مدنيًا، وزيادة عدم الثقة بين المجتمع والنخبة، وظهور مفاهيم "الشمولية الطبية"، والعودة إلى أفكار السلطة الحيوية لميشيل فوكو.

بدأ النضال من أجل القيم يظهر نفسه بشكل متزايد في الرياضة وفي الحركة الأولمبية. ربما يمكن الآن استبدال عبارة "الرياضة تتجاوز السياسة" بعبارة "لا يمكن للرياضة أن توجد خارج القيم". قضايا الهجرة، وقضايا المساواة بين الجنسين، والعديد من القضايا الأخرى هي محور مناقشة القيمة. إن الاهتمام الذي يعتزم نادي فالداي إيلاءه لهذه المناقشة في أعماله المتخصصة في عام 2022 له ما يبرره تمامًا، نظرًا لخطورة القيمة العالمية والأجندة التنظيمية وتأثيرها المباشر على سياسة العالم الحقيقي.

خاتمة:

يتزايد الجدلَ التقليديَّ بين النظريات كافة
بشكل عام و الاتجاهين الواقعي والمثالي في العلاقات الدولية بشكل خاص، كما أن الساحةَ الدولية وإن كانت فوضويةً تحكمها المصالحُ والمنافعُ فإنها تخضع في الآن نفسه لالتزامات وتوافقات تحددها وتضبطها مؤسساتٌ عابرة للحدود والحواجز القومية.وبذلك يصبح التعاون الدولي أصبح غير مستحيلاً، اذا ما استغلت القيم في تقارب المصالح ناهيك عن أن البلدان لم يعد أمامها خيار سوى تحصين نفسها استعداداً لعصر قادم يتسم بالتحالفات المختلة في الاصعدة كافة، أو اتخاذ مسار الصراعات بالوكالة، أو حتى الحرب لتحقيق مصالحها بل يعني ذلك أن التعاون لا ينبغي أن يرتكز على القيم المشتركة، بل على المصالح الاستراتيجية المشتركة الطويلة الأجل وجعل القيم والمصالح في مسار غير متعارض . ويتلخص الأمر الحتمي بالنسبة للبلدان الآن في تحديد مصالحها الاستراتيجية الطويلة الأجل؛ كيف تتداخل (أو لا) مع تلك الخاصة بالآخرين؛ وما هي أنظمة التسوية المتبادلة التي يمكن أن تساعد في تعزيزها.

المصادر:

١/ أحمد فاضل يوسف. (2019). القيم المشتركة في العلاقات الدولية المعاصرة: دراسة تحليلية-نقدية للحرية الدينية. AR-RĀ'IQ, 2(2), Page 1–39. https://doi.org/10.59202/riq.v2i2.431

٢/شهاب المكاحلة،القيم والأعراف في السياسة العالمية، https://alrai.com/article/

Interests and values in international relations/3
Terence O'Brien
New Zealand International Review
Vol. 38, No. 4 (July/August 2013), pp. 16

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية